هجوم الأسفلت
إسراء هيبة
خريجة ألسن / مصر

"والله لن يمهد هذا الطريق حتي لو مت لن ترضي الأسماك بذلك أبدا "
قالها وهو يسحب أخر جذع خشب له من المعدية بعيون يملأها الإصرار وقلب متوعد ، الكل حوله يحاول مواساته لكنه يتجاهل.
جمع حاجاته ، علبته الصفيح التي كان يضع بها العابرون النقود محدثه رنة خفيفة مستساغه تنظم جهازه العصبي برتابتها وتكرارها ، الراديو الصغير الذي طالما سمع عليه سومه تشدو من عذاب الحب ولوعه الشوق تحيي المعدية تتراقص الأسماك ، تداعب قدمه أكله تلك الأطراف الخشنة من التشققات الكعبية ، يضحك مادا قدمه أكثر علي أثر الزغزات الحانية لسمك يحبه ويلقي له فتات العيش ، في كل صباح يتجمع في حلقات، سريعا ما ينهي وجبته ويغطس مع أولي خطوات لغريب علي المعدية ولا يظهر إلا ليلا عندما يدير العجوز ملف الراديو فتنتشر النغمات محدثه ذبذبات علي سطح الماء ، يتقاذف فرحا بالوجبة الثانية التي يعلم بأن ميعادها قد حان ، صوره جمال ذات الشرخ العميق في المنتصف التي كسرت يوم النكسة حينما قذفها أحد الشباب لاعنا الهزيمة، حماها بنفسه ولم يفقد الثقة فيه حتي وفاته ،حذائه البالي ،عده الشاي والكلوب كلها رفقاءه من زمن..
يمشي، ثقيلة أحماله ، مرددا السمك لن يرضي بذلك صدقوني ، الكل لا يؤاخذه يعلم أنها نوبه عابره وكلام فارغ يقوله من الحزن.
تمر الأيام، تبدأ أعمال الحفر يبهت المنظر ،تجتث الأشجار من علي الجانبين ، يتراكم الطين علي السمك ، يقف فجرا علي مشارف الترعة يداعب أخر الأسماك علي قيد الحياه يجمع منها ما يستطيع إنقاذه وينقله في حوض كبير إلي مجري مائي أخر ، يعود إلي ناصيه الشارع بمجموعه من

لعب الأطفال الملونة كرات وبالونات وأسماك هكذا أحب أن يكمل حياته ، كلما جالسه أحد الجيران غلبه الصمت ، كأن الكلام نفذ من الحياه ،تجنبه الجميع رغم إشفاقهم وتركوه لصمته .

الطريق يقترب من الاكتمال ، علقت لافته كبيره علي بدايته بميعاد الافتتاح رآها العجوز فجرا في جولاته المعتادة شعر أن حمه ما تتخلل جسده ودموع تنساب علي وجه ، كأنه خسر كل شيء حتي إيمانه، ذهب الي البيت توسد باللحاف ونام..

في الثاني من الشهر جاء حشد كبير من المحافظة علقت لافتات مكتوب عليها دباجة معروفه ، تم إنجاز الطريق تحت قياده سياده الرئيس وبتوجيهات من المحافظ ، الكل علي أهبه الاستعداد لقص الشريط والعجوز يلفظ أنفاسه الأخيرة بين جيرانه ، يعلن أن لا حياه له مع ذلك الطريق الجديد..

ساعه الصفر، قص الشريط وروح علي شكل سمكه تصعد إلي السماء ، حركات أرضية إعتقد البعض أنها زلزال في بادئ الأمر لكنها تقوي وتقترب ، حتي ظهرت زعانف قويه تشق الأسفلت في كل الاتجاهات ، كأنها حيتان أو قروش أصاب الذعر الجميع وهي تلتهم الأسفلت ، وسائل الإعلام تبث في كل القنوات عن هجوم الأسفلت ، العلماء يعتقدوا أن هناك تسريب إشعاعي حدث عند نقل خطوط المياه نتيجة إلقاء النفايات النووية في المجاري المائية مما غير جينات الأسماك وطور جهازها التنفسي فأصبحت قادره علي التنفس من خلال الشقوق وضاعف حجمها عشرات المرات.

أخذت قوات الأمن تهيب بالمواطنين لإخلاء المنطقة لحين حل الأزمة ،الكل يخرج إلي الطرق البعيدة ، يعلم في نفسه أنها لعنه العجوز الراحل ليس إلا.

الأسماك ، حفرت المجري النهري، في أقل من ساعه تفجرت المياه في القناه ، تتقاذف الأسماك إلي السماء ملوحة لتلك الروح المبتسمة مودعه أنها صدقت الوعد .

بعد عده أيام..

تؤكد قوات الغطس عوده الأسماك إلي حجمها الطبيعي وأن التسرب الإشعاعي كان مؤقت فقط